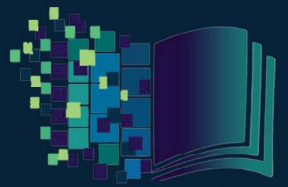




عين الوطن



روافد المعرفة

تأملات في الإنسان



د. رجاء نقاش

مؤسس المشروع:

د. طلال مكّي

رئيسة المشروع:

سهام الشريف

نائبة رئيسة المشروع:

دعاء بامردوف - شهد ياسين

تأملات في الإنسان



د. رجاء نقاش

مرئيس لجنة الدراسات:
ابراهيم عبدالعزير المعتم

نائبه رئيس لجنة الدراسات:
ملاك ابراهيم العنزي

مشرفة لجنة التدريس:
بتول عياض السلمي

نائبه مشرفة لجنة التدريس:
جود ناصر القرشي

رئيسة لجنة الكتابة:
وديان سعد اللقمانى

رئيسة لجنة تقنية المعلومات:
الاء محمد الدوخي

رئيسة التصميم والتنسيق:
مروج القرمانى

رئيسة لجنة التدقيق ومراجعة الروايات:
نرينب الرمضان

أسماء الملخصين

بشرى عبدالله عباس
إيمان حسين الدهان
ليان عبدالستار قربان
سارة محمد الشيخ
محمد سعيد المالكي
شروق الزبيدي
بشرى عبدالرحمن تمبوسي

تدقيق املائي ونحوي

فاطمة جبر

تنسيق الكتاب واخراجه

نوران عمر محمد حسين

الفهرس

٦	كلمة
٧	من الحياة
٧-٨	التماثيل المكسورة
٩	اللذة الخطرة
١٠	الأمريكي الحزين
١١	ابتسم
١١	المنتحرون
١١	أزمة المجتمع والأنتحار
١٢	الزوجة المظلومة
١٢-١٣	الحضن
١٣	الطفل المدلل
١٤	حطم الكأس وعد للحياة
١٥	الباب الضيق
١٥-١٦	البئر
١٧	الصخرة
١٨-١٩	الحب لا يتكلم كثيراً
٢٠-٢٢	أيي .. إني أكرهك
٢٣	المغامر
٢٣-٢٤	العجز العاطفي
٢٤	الجسد
٢٥	نصف الجنون
٢٥	إرادة البشر
٢٦	منجم الفحم
٢٦	المرأة والفضيلة والحب
٢٦	الزوج الكاذب
٢٧	العاشقة
٢٧	الهاربون من الحياة
٢٨	مرحباً بالخريف
٢٨	أمنية
٢٨	العيون
٢٩	وجه
٣٠	الخاتمة



تأملات في الإنسان

على مر العصور لم يكن الإنسان على وفاق مع نفسه
ولم يكن يعطيها فرصة للتعبير
وهذا ما جعله في خصومة دائمة مستديمة

الإنسان عبارة عن حكايا وقصص فلننصت إليها وبإنصاتنا نتأمل



بسم الله الرحمن الرحيم

من الحياة

هذه صور من الحياة.. عَرَفْتُ بعضها عن طريق التجربة المباشرة وعَرَفْتُ بعضها عن طريق قراءاتي، والمشكلة الرئيسية في هذه الصور كلها هي المشكلة التي شغلتنني سنوات طويلة، فانصرفت إلى التفكير فيها بعقلي وقلبي معًا. إنها مشكلة الخصومة مع الحياة، هذه الخصومة التي لم يفلت منها إنسان أبدًا..

فكيف يعيش الإنسان في سلام مع نفسه، وفي سلام مع الناس ؟
ما الطريق إلى ذلك، وما العقبات التي تقف في الطريق؟
وكيف يتصرف المهزومون في معركة الحياة، وكيف يتصرف المنتصرون؟
ما الأمل.. وما التفاؤل وما التشاؤم.. ما الأسى.. وما الفرح؟

كل هذه الأسئلة هي التي حاول هذا الكتاب بما فيه من صور نفسية أن يجيب عنها..

التمثيل المكسورة

"عندما يصبح الامتياز محنة"

هذا النوع من الناس تقابله كثيرًا في الحياة

إذا رأى وجهًا ناجحًا في التلفزيون قال لك إنه لا يستحق الشهرة، لقد وصل إلى مركزه بالمصادفة والنفاق، وإذا قرأ لكاتب ناجح كان همه الوحيد أن يثبت لك أن هذا الكاتب فاشل لسبب من الأسباب!..

فما سر هذا الشخص؟

إنه نوع من الناس يكره الامتياز، ويعادي التفوق، ويخاف خوفًا عميقًا من أن يرى شخصًا يتمتع بموهبة لامعة. و الدافع الأساسي الذي يحرك هذه النفسيات هو أن أصحابها لا يملكون صفة جميلة تميزهم عن الغير، وهم في الوقت نفسه لا يعملون ولا يجتهدون لاكتساب هذه الصفة الجميلة، فالشخص الممتاز هو نقد غير مباشر لأصحاب هذه " النفسيات " يبرز ما فيهم من نقص، ويكشف إلى أي حد يعيشون هم على سطح الحياة.

كيف يمكن الوقوف أمام النجاح بدون نجاح، وأمام القوة بدون قوة، وأمام الجمال بلا جمال يوازيه؟
إن الطريق إلى ذلك هو نقد الشخص الممتاز، وتشويه صورته، وإقناع النفس أولاً ثم إقناع الناس بأنه شخص لا أهمية له.



ومن حقائق الحياة المؤلمة أن الشخص الممتاز نفسه يتيح الفرصة لمثل هذا الموقف، فهو غالبًا ما يكون منصرفًا إلى الأشياء الجوهرية في الحياة، لا يسمح لنفسه أن تهتم بالأشياء التافهة، وهو لا يشعر بأي خطر لهذه الأشياء...وكثيرًا ما يتصور الناس على صورته، فهم يفكرون بالأشياء الجوهرية مثله، ويحبون الجمال مثلما يحبه، وهو لا يتصور كثيرًا أن أحدًا يمكن أن يخطر على باله أي نوع من الغدر والخديعة.

وهنا يمكن أن يكون في الشخص الممتاز ما يصح أن نسميه "ضعف العظماء" وهو الضعف الذي يؤدي إلى عدم رؤية الآخرين رؤية صحيحة، والعجز عن تصور انفعالاتهم الخفية السوداء وإدراكها. إن الخوف من الامتياز -كما يقول أحد علماء علم النفس- هو ظاهرة معضلة من ظواهر النفس البشرية، وهي ظاهرة يشعلها الفشل والضعف.

لا يمكن لإنسان تعود إحساسه وذوقه على حب الامتياز والاعتراف به إلا أن يصبح في نهاية الأمر إنسانًا ممتازًا جميلًا، ولكن حب الامتياز عادة صعبة، تحتاج إلى قوة نفسية كبيرة، وإلى ظروف اجتماعية تتيح للجميع فرصًا متكافئة، وتفتح الطريق أمام كل فرد يريد أن يعمل ويجتهد.

لذلك فإن المجتمع كلما تقدم واتسعت فرص الحياة فيه أصبحت مشكلة الفرد الممتاز أقل انتشارًا وأقل عنفًا. والذين يكسرون التماثيل الجميلة، أو يسعون إلى تشويهها، قد ينجحون أحيانًا، ولكن الحياة تعود من جديد فتخلق هذه التماثيل ليحبها البعض.. ويكرهها آخرون.. ولكي تكون دائمًا الزهرة التي تنثر العطر للناس وتشرب العذاب.



اللذة الخطرة

كان يقول لكل من يقابله:

أنا موسيقار.. أنا عبقرى.. ولكنى لا أستطيع أن أكتب لحناً واحداً وزوجتي على ظهر الحياة.. إنها تقتل أحلامي كفنان.. وعندما يذهب إلى البيت الحزين الكئيب.. ينظر إلى زوجته في نفور.. ثم يضربها.. وهي صامتة لا تتحرك، وفي صمت تجري من عيونها الدموع ، ثم تقدم له ما يحتاج إليه.. وفي يوم عاد إلى البيت ، ووجد زوجته مكومة في ركن مظلم ، وصرخ في وجهها فلم ترد عليه.. وبدأ يتردد ، وعرفت يده الحنان لأول مرة ، وهو يهزها وينادي عليها.. ولكنها لم ترد .. لقد ماتت.. فزرع العبقرى .. وخرج من بيته .. وظلَّ يجري في الظلام حتى وقع على وجهه في الطريق ومات.

القصة تقدم لنا نوعاً من الشخصيات يقابلنا كثيراً في الحياة:
فالموسيقار يعاني ما يمكن أن نسميه "عقدة الاضهاد"

وهو يقنع نفسه بأن زوجته تعطله عن الفن ، إنه يلقي عبء فشله على زوجته ، ويبدو في نظر نفسه بريئاً خالياً من المسؤولية. وتمر الأيام وهو واقف ، يتقدم من هم أقل منه في الموهبة والكفاءة ، بينما هو يخفي عن نفسه حقيقة فشله ، فالمشكلة في داخله هو ، وسبب فشله هو أنه رجل بلا إرادة ، رجل لا يواجه المشكلة في عينها ، وإنما ينظر إليها من بعيد و بطريقة ملتوية.

كثيراً ما يتعرض الإنسان للفشل، وليس هذا الخطر الأساسي ، ولكن الخطر يتركز في طريقة مواجهة الفشل. وأخطر مراحل الفشل هي أن يتحول إلى عادة ثم اقتناع ، وفي آخر الأمر يصبح لذة يمارسها الإنسان باستمتاع وسعادة ، ولذة الفشل تبدأ عندما يلقي الإنسان سبب فشله على الآخرين ، ويبعد عن نفسه تماماً مسؤولية الوضع الذي وصل إليه.

إن الذي يضع مسؤولية فشله على الغير ، هو إنسان يشعر أنه خال من العيوب ، وأن العيب يكمن في الآخرين ، ويشعر أنه على جانب من الأهمية .. ولم يكن "مهماً"
لما فكر أحد في إيذائه والوقوف في وجهه ...!

وكل هذه المشاعر لها سحر غريب على النفس ، يسيطر عليها كما يسيطر المخدر ، وهو سحر يضع الإنسان في عالم مليء بالأحلام و الأساطير ، عالم تتردد فيه كلمة: أنا ... بما فيه من جاذبية وعذوبة ، تستريح إليها الشخصيات الضعيفة ، والتي تعيش حياتها بدون اتجاه أو هدف..



الأمريكي الحزين

أمريكا هي بلد ناطحات السحاب و الأضواء التي تلغي الفرق بين الليل والنهار والناس الذين يسرعون في الأكل والكلام والحركة ولا يجدون وقتاً للهدوء والتفكير، وعشرات الملايين في أمريكا يعيشون هذه الحياة ويتحمسون لها ، ولكن نظرة عميقة تخترق هذه الزحمة وتنظر إلى القاع تجد شيئاً مختلفاً ، إن الصخب والضجيج يخفيان حزناً عميقاً يأكل قلب أمريكا.

لقد وقف مهندس فنان ذات يوم في نيويورك وقال: "هذه مدينة مليئة بالزينة.. لكنها زينة مفجعة" وبين الحين والحين يظهر نوع فريد من الأمريكيان ليكشف للعالم ذلك الحزن العميق الذي يعيش في هذا البلد المجنون بالسرعة وعدم المبالاة ، إن هذا النوع هو الأمريكي الحزين ، الأمريكي الذي قاسى حياة مجتمعه فامتلاً قلبه بالأسى لأنه لم يجد في هذه الحياة تلك المعاني الإنسانية الكبيرة التي تجعل الإنسان يحتمل وجدوه ويسعد به ، ومن هؤلاء أمريكي حزين ملأت شهرته العالم وأساء الكثيرون فهمه، حتى أمريكا جعلت منه صورة مائعة خليعة ، ذلك هو الممثل الفنان "جيمس دين".

فمن هو جيمس دين على حقيقته؟

كانت أمه فلاحاً عادية وكان أبوه عاملاً متواضعاً ، وولدت له أمه في صباه جواً من الحنان الغامر ، ماتت الأم الحنون وهو في الثامنة من عمره ، فكانت فجيرة للصبي الصغير ، لم يعرف بعده -وطول حياته- طعم الحنان ، لقد تركته أمه لعالم شديد القسوة، لا يوجد فيه من يهتم بالآخرين ، كل إنسان يهتم بنفسه ولا يفكر في الغير. كان جيمس تلميذاً شديد العزلة ، وأحياناً يبكي أثناء الدروس ، لأن أمه غير موجودة في هذا العالم ، لقد كان شعوره باليتم هو الشعور الأساسي الذي ظل مسيطراً على حياته حتى مات.

إن أمريكا كلها بكل ما فيها لا تستطيع أن تعوضه عن حنان أمه ، وعندما بلغه نبأ مصرع ممثل شاب في حادث طائرة قال: ليس الأمر بيدنا.. سأكون أنا كذلك ، عش شاباً.. ومت شاباً.. وكن كافئاً جميلاً.. وبعدها بثلاثة أيام مات في حادث سيارة كان يقودها بسرعة ١٥٠ كيلومتراً في الساعة ، وكان عمره لا يزيد على ٢٥ عاماً..!

كان جيمس يجد هوايته الكبيرة في قيادة السيارات ، وكان حبه للسيارات نوعاً من البحث عن السرعة والعنف والتغيير ، وليس هذا مرض جيمس لوحده.

فالأمريكي عموماً هو الإنسان الوحيد في العصر الحديث المصاب بما يمكن أن نسميه "عقدة السيارة"

فهم أكثر الناس اهتماماً بسباق السيارات ، ولا شك أن موقف الأمريكي في الحضارة المعاصرة شبيه بموقف الهندي في حضارته القديمة ، إن الهندي كان يتخلص من أزمته في هذا الكون بتعريض نفسه للخطر ، كأن يمتنع عن الأكل لمدة طويلة، أو يعيش مع الثعابين ، إنه كان يتفنن في الوصول إلى الوسائل التي تزيد من شعوره بالخطر ، وهي وسائل تتبع كلها من فهم خاص للتصوف. والأمريكي يعرض نفسه للخطر عن طريق السيارة حتى يشعر باللذة ، وبطعم حاد للحياة ، ويستريح عندما يصل إلى حافة الخطر وينجو، ثم يعود من جديد إلى المخاطرة.

إنها أزمة البحث عن طعم في حياة بلا طعم ، لأنها حياة جاهزة أعدتها الآلة إعداداً كاملاً.



ابتسم

روح الحزن كانت عميقة في نفوس المصريين القدماء حيث كانوا يقضون نصف عمرهم في الاستعداد للموت عن طريق بناء المعابد والمقابر ، ولكن الغريب أن المصريين احتفظوا حتى في تلك الأيام بروح النكتة والسخرية والمرح فما سر هذا التناقض ؟ الحقيقة هي أن الابتسام والفرح هما أرقى تعبير عن الحزن العميق ..الأصيل.. إن الحزن هو وليد التجربة الكبيرة ، والخبرة بالناس والأشياء ، فالإنسان كلما زادت خبرته وتجاربه تبين أن الدنيا تنطوي على مأساة ، كل شيء يفلت من اليد ويضيع ، حتى الأديان التي ظهرت لتساعد الناس على الحياة والتعاون تتضمن هذه المعاني.

ولكن ..هل هذا هو كل شيء عن وضع الانسان في هذا العالم ؟

مما لا شك فيه أن هذه الأشياء كلها حقائق ، ولكن الإنسان الحزين فقط هو مشروع إنسان وليس إنسانا كاملا ، و إذا كان الحزن دليلا على المعرفة والفهم فالفرح والابتسام هما دليل على احتمال الحياة .. عندما يبتسم الحزين ويفرح فهو يقول لنفسه وللحياة : أنا طرف في المأساة .. ولكني قررت أن أحتمل وأستمر وأنا أدرك أن الشوك يملاً الطريق.

وهذه الحقيقة هي السبب الذي جعل المصريين القدماء يحملون في قلوبهم أقوى الأحزان ، ثم يعبرون عنها بالفرح والنكتة ، وتبين أخيرا أن الحياة في أعماقها هي تجربة محزنة ، ولكن لابد من احتمالها . المسألة ليست أن نفهم ونذكر فقط .. بل لابد أيضا أن نتحرك ونتصرف ..

أن معظم الأبطال يتميزون بالبشاشة و الروح المرحية ، بالرغم من أن البطولة في حقيقتها احتمال للمتاعب والمصاعب والتعرض عسيرة من الأحزان . إن البطل يختار التفاؤل والفرح حتى وهو غارق في لجة الأحزان وابتسامته قوة تساعد على اقتحام المصاعب ولا أعرف في أدبائنا أكثر حزنا وانطواء على النفس من توفيق الحكيم لكن استطاع أن يسيطر على إحساسه بالحزن فاستخدم الفكاهة في كتاباته .

إن الابتسامه هي الاكتشاف الذي توصلتُ إليه النفوس العميقة .. التي شربت أكثر كؤوس الحزن مرارة .. وعرفت أن أعظم ما في الحياة هو احتمال الحياة .

المنتحرون

كان المجتمع القديم في مصر ضعيفا قاسياً مليئاً بالآلام المريرة التي تجعل الطريق في عيون الناس مسدودا.

مجتمع الأزمة و الانتحار

في عام ١٩٤٠ حاول إسماعيل أدهم في حياته أن يقنع الناس أنه ليس من مصر ولقد ظل البؤس المادي والمعنوي يسيطر على حياته حتى انتهى به الأمر إلى الانتحار . وبعد هذه الحادثة بقليل أطلق فخري أبو السعود الرصاص على نفسه لأنه لم يحتمل الصدمة المريرة بموت ابنه .

وقبل هذه الحادثة بعشر سنوات أغلق الشاعر أحمد العاصي على نفسه حجرة كان يسكن بها وأشعل في نفسه النار هؤلاء المنتحرون الثلاثة لا يمثلون أنفسهم وحسب ، بل هم يمثلون جانبا من الجيل الذي ظهر في مصر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى إلى نهاية الحرب الثانية لقد اختاروا هم طريق الانتحار أما الجيل الجديد الذي ظهر بعد الحرب العالمية الثانية فقد اختار طريق اخر هو : الثورة والتمرد .



الزوجة المظلومة

احذري أن تتزوجي عبقرياً!

بهذه الكلمات نصحت كاتبة أمريكية كل بنات جنسها .. لأنه من وجهة نظرها .. هو رجل يعيش بالمقلوب وطريقة تفكيره مختلفة عن الآخرين ..

وذكرت مأساة زوجة الأديب الروسي الكبير تولستوي التي هاجمتها عشرات الكتب والمقالات تقول إنها كانت سبب التعاسة والعذاب في حياة زوجها العظيم الذي كان يكره عالمه الخاص والمجتمع الذي يعيش فيه ويريد تعديلاً كاملاً للوجود البشري وهذا هو سر مأساته .

بالحضن

”إذا أردتني فابحث عني تحت نعل حذاءك“

والث وثمان

يختلف الناس في رؤيتهم للحياة وبالتالي طريقة عيشهم وهناك نوع نادر من الناس يحب الحياة ويقبل عليها إنه يحب بنهم ويأكل بنهم ويحزن بنهم أيضاً ، فهو يعتبر الحياة مجرد الحياة ، رائعة .. لا يوجد إنسان غريب ، كل الناس كائنات جميلة ، وكل الحالات البشرية مقبولة .

من هذا النوع من الناس والث وثمان فنان عاش في أمريكا في القرن الماضي ، كان قلبه مفتوح للجميع فكان له أصدقاء كثيرون منهم سائقي عربات ومنهم حمالين وحتى الزوج كان يصاحبهم ، وكل الناس قريبون من نفسه ، ففي قصيدة له تحت عنوان : ”إليك“ يقول :

”أيها الغريب .. يا عابر السبيل ، إذا مررت بي .. وكنت تريد أن تتحدث معي .. فلماذا لا تفعل؟ إني أيضاً أريد أن أتحدث معك“.

لقد كان يمنح عواطفه لكل شيء في الحياة ، حتى للتراب والعشب ، ولذلك فأنت تستطيع أن تجده في التراب الذي تدوس عليه. وفي قصيدة أخرى له بعنوان ”من أكون في آخر الأمر“ يهاجم الشاعر نزعة الغرور والأنانية التي يمكن أن تعيش في نفسه ، أو في أي نفس أخرى .

”من أكون في آخر الأمر سوى طفل .. أجد السعادة عندما أسمع صوت اسمي يتردد وإذا تكرر اسمي مراراً .. ومراراً .. فأني أقف لأسمع سعيداً ، لا أحس بالسأم لحظة ولا أتعب . وأنت أيضاً تحس بنفس السعادة عندما تسمع اسمك . هل تظن أنه ليس هناك في العالم سوى هذه المقاطع الصغيرة التي يتكون منها اسمك؟!“

إن الشاعر هنا يريد أن يزيل هذا الحاجز الذي يضعه كثير من الناس أمامهم فلا يستطيعون رؤية العالم وجماله .. وبذلك يعيشون في دائرة ضيقة . ذلك الحاجز الذي تكون من كلمة ”أنا“ .. وهي كلمة ساحرة يسعد الإنسان عند سماعها.

كما تغني بقصائد وأقوال أخرى تبين مدى صلة الشاعر العاطفية بالعالم كله للفاشلين والظافرين ، للجميلة والعانس، للبسمة والدمعة .



وهكذا خرج على كل التقاليد الزائفة وهاجمها بعنف دون أن يكف عن الضحك والمرح ، وكانت البيئات المحافظة التي أزعجها هذا الفنان تقول عنه : إن هذا الرجل يجب أن يطرد من كل مجتمع مهذب ، إنه أخط من البهائم.

إن أجمل ما نتعلمه من هذا الفنان الذي يحتضن الحياة ويقبل عليها بنفس مفتوحة هو أن نتقبل الحياة ، وأن نعيشها بشجاعة. إن شجاعة الحياة التي يدعونا إليها تعتمد على التسامح واتساع الذهن والعاطفة ، فنحن أحيانا نضيق بالناس العاديين ونقيس الفرد بمدى نجاحه وتفوقه في الحياة ، ولكن هذا الفنان يدعونا إلى الحب الشامل إلى احترام الحياة في أبسط مظاهرها وأقلها أهمية ، والنظر إلى الإنسان بعاطفة تغفر كل شيء ولا تعرف اللوم والتأنيب أبدا. إنها دعوة إلى حب الحياة ، والإقبال عليها ، والابتسام في وجهها .. فهي جميلة حتى في عذابها وحتى في العصاة والخاطئين ..

الطفل المدلل

تسود فكرة مفادها أن الفنان العبقرى الموهوب له الحرية المطلقة لفعل ما يشاء حتى وإن كانت أفعاله غارقة في الشذوذ والانحراف بحجة التجربة والبحث عن المعنى الفنى.

إن حياة الفنان المشهور "أوسكار وايلد" الذي أحدث ضجة كبيرة في إنجلترا تقدم لنا تجربة عميقة تدلنا على أن هذه الفكرة خاطئة، وأن الامتياز الذي أعطته الطبيعة للفنان هو عبء ومسئولية .. وليس فرصة يستلغها للبحث عن متعة "غير عادية". يقول وايلد عن نفسه : "لقد وهبني الله كل شيء فأنعم علي بالذكاء والشهرة والمقام الاجتماعى العالى .. وأنا الذى جعلت الفن فلسفة والفلسفة فنا .. وما قلت قولا أو قمت بعمل إلا كان موضع عجب الناس ودهشتهم .. وكل شيء مسته يدي أحواله شيئا جميلا".

لقد عاش وايلد فترة من حياته بهذه الفكرة الخاطئة .. لقد ظن أنه جاء إلى العالم ليأخذ منه أقصى ما يستطيع فأخذ يجرب كل شيء وجرفته تيار الفساد الشائع في المجتمع الإنجليزى "ألفرد" حتى وقع في الشذوذ وكانت أشهر علاقاته مع الشاب الوسيم اللورد دوغلاس "والتي قادته في النهاية إلى السجن ليقتضى فيه سنتين كاملتين.

وفي السجن استطاع وايلد العودة إلى صفاء عبقريته ؛ فحاكم نفسه محاكمة أقصى من محاكمة الناس له. فالفنان الموهوب إنما يقوم بمحاولة لفهم الحياة فهما عميقا ، ثم اكتشاف الجمال المختبئ فيها وهي مسؤولية كبيرة يتحملها الفنان وليست امتيازًا يبرر الشذوذ والانحراف.

وعندما وقع وايلد في محنته .. كتب يبرئ منه من تهمة "المسئولية" عن هذه النتيجة: "إنه واجب علي أن أقول لنفسي إنى أنا الذى أوردتها موارد الهلاك ، وأنه لا أحد في الدنيا مهما يكن عظيما أو حقيرا بقادر على أن يدفعك إلى موارد الهلاك إلا إذا ألقى نفسك بيدك في تلك المهالك .. إنى أصدر هذا الحكم القاسي على نفسي من غير شفقة ولا رحمة".

أي أن الإنسان هو المسؤول .. وليس الفنان. ثم يستمر "وايلد" في قسوته على نفسه ليكشف سر محنته : "لقد استحالت الشهرة عندي إلى مرض أو جنون ، وغاب عني أن أي عمل مهما صغر مقداره يبني الخلق ويهدمه .. إن ما يفعله الإنسان بين جدران غرفة مغلقة سوف يفعله يوما أمام الناس .. لقد فقدت السيطرة على نفسي ، بل جهلت نفسي فأثحت للذة أن تسيطر علي، ثم انتهى الأمر بفضيحة لا حد لبشاعتها ، ولم يبق لي الآن إلا الذلة والضعف".



واستطاع وايلد أن يصل من خلال الكارثة إلى أعماق نفسه الصافية ، وذلك حين سمحت له إدارة السجن بالكتابة ، فأعد كتابه الذي أسماه " من الأعماق"
لقد تعلم الآن - وهو وحيد بعيد - أن الفكر الصافي والألم العميق هما المنبع الحقيقي لمعرفة الحياة وفهمها يقول :
" لن أعيش بعد الآن إلا بصحبة الفنانين، والناس الذين تألموا، فأولئك هم الذين يعرفون ما الجمال وما الحزم؟ أما من عداهم فلا يعنيني من أمرهم شيئا".

حطم الكأس وعد إلى الحياة

"انس كل شيء في حياتك الحاضرة وعد إلينا .. حطم كأس الفودكا وعد فإني أنتظرك .. كلنا ننتظرك"
بهذه الكلمات خاطب الفنان الكبير "أنطون تشيكوف" أخاه "نيكولا" الذي تغلبت عليه الحياة فلا يجد عزاءه إلا في كأس من الفودكا ، ثم في الشكوى المريرة التي لا تنتهي حتى قاده ذلك إلى الدمار والموت ، على الرغم من أنه كان موهوبا رساما وكاتب قصة ، ولكنه لم يعرف طريقة المحافظة على موهبته واستثمارها ، وكانت حساسيته الشديدة تدفعه إلى التأثر الشديد أمام مشاكل الحياة.

لقد كانت محنة نيكولا : أنه يبدد حياته .. يبدد كل ما يملك من قوى معنوية حتى وصل للإفلاس المعنوي.
وتشيكوف يكشف سر الغنى الروحي لأخيه .. فقد كان تشيكوف غني الروح بينما كان فقيرا مريضا ووحيدا باستمرار .. ومع ذلك فقد عرف قدر كل لحظة من حياته واستثمرها حتى استطاع أن يصنع من "الفقر في كل شيء" "غنى في كل شيء".
وقدم للعالم في عمره القصير نسبة ضخمة من الحكمة العميقة ، والجمال الخصب ، وبذلك عالج تشيكوف أكبر مشكلة تسبب للإنسان التعاسة وتؤدي إلى الدمار . وهي أن يشعر الإنسان أن حياته تافهة ، لا فائدة منها.
وهكذا يبدأ الإنسان بالشكوى حتى يتحول كل شيء بالنسبة له إلى مرارة لا يطيقها ويبدد وقته ومشاعره وصحته ، وتكون النتيجة هروب من الحياة وكرهية لها وانعدام شعور الإنسان بالأهمية.

أولئك الذين يواجهون الحياة بقوة هم وحدهم الذين يصلون إلى نتيجة تقضي على شعورهم بالتفاهة .
إن الحياة الناجحة هي الحياة المنظمة ، الحياة التي تخضع لرقابة دقيقة من الإنسان على نفسه ، وليست الحياة التي تجري مع التيار.

وقد سمى تولستوي هذه العملية بـ " الحراسة على الحياة الخاصة " وكان على نفسه حارسا أميناً دقيقاً يقوم بطرد المشاعر السيئة من نفسه ولم يكن يجمالها أبدا بل يواجهها وينقدها دائما ، وتكون هذه المواجهة القاسية هي بداية التغير نحو حياة أكثر جمالا وفائدة.

يقول مفكر أمريكي معاصر الأستاذ تشارلز فرانكل " إن العصر الحديث يتميز بالتبديد الهائل للقوى البشرية " . وهذه الفكرة تدعونا أكثر للتفكير في حياتنا على ضوء ملاحظات تولستوي وتشيكوف ، فالإنسان في عصرنا إذا لم يحم بالحراسة الدقيقة على حياته ، فإنه سيكتشف بعد وقت أنه قضى عمره في الأشياء الكثيرة العاجلة التي يمتلئ بها عصرنا ، وتكون النتيجة أن يقعوا في نفس الخطأ "نيكولا".

الباب الضيق

”دع ذلك الذي يتحسس طريقه في الظلام والضوء المرتجف يستمسك بهذه الوصية ويحرص عليها أشد الحرص وهي : أن يعمل الواجب القريب منه ... فإذا قام بذلك أصبح الواجب الذي يتلوه واضحا ظاهرا“ .
....جيته....

في فترة الشباب من حياة الإنسان يبدو كل شيء ممكنا فتكون أحلام الإنسان ومشروعاته كبيرة وبعد أن يبدأ أولى خطواته يصطدم بالحياة وتتوالى المفاجآت والصدمات النفسية ، التي تجرف معها التفاؤل والحيوية ، وتخلق الحزن الذي قد لا يتخطاه البعض فينتحر انتحارا فعليا أو يغيبون عن الحياة بالسكر أو بعادات جامدة تشغلهم عن التفكير بالحياة. ولتخطي مرحلة الصدمة يحتاج الإنسان إلى بوصلة تحدد اتجاهه ، ويبين أديب ألمانيا العظيم جيته أن العمل وحده هو الذي يعطي بقية الأشياء في الدنيا معناها وطعمها الحلو. والعمل الصحيح الذي يساعد الإنسان على التغلب على آلام الحياة هو : عمل الواجب القريب بخطوات صغيرة وذلك يؤدي إلى الخطوة التالية ويقودنا إلى دائرة أوسع ، فيكشف عن كثير من المعاني الجديدة في الحياة. فالعمل البسيط المتواضع ، البعيد عن الأضواء ، هذا النوع من العمل هو الباب الضيق ، الباب الذي لا يحب الكثيرون أن يدخلوا منه إلى الحياة ؛ لأنهم يفضلون الأبواب الواسعة التي تؤدي بهم إلى أهدافهم بسرعة. لقد ظل حياته التي استمرت أكثر من ثمانين عاما ... يعمل و يلتمس السعادة و الفرح و عذوبة الحياة : في العمق ... في عمل الواجب القريب منه دائما ... في الدخول من الباب الضيق الذي لا يقبل عليه الكثيرون .

البئر

هي فتاة جميلة ... و لذلك فهي لا تجعل "عقدة " حياتها الأولى : انتظار الرجل، و الخوف من أن يفوتها القطار الخالد ... قطار الزواج . وهي ليست فقيرة ، لذلك فإنها لا تعاني معركة كل يوم و لا يطاردها البحث القاسي عن اللقمة ولا زحمة المواصلات ، ولا المسكن الضيق ... فتحس بضيق الحياة . ولكن زوجها الجميل ، و الفيلا التي تسكنها ، و العربة التي توصلها كل يوم إلى الجامعة ، و تفوقها الدراسي ... كل هذا لم يوصلها لجواب . وهي تسأل : ما معنى الحياة ؟ هل هي أن تتزوج مثل أي فتاة ، وتواصل الحياة الروتينية التي يعيشها معظم الناس ؟ ... إنها ليست مقتنعة بهذا ولا راضية به ... فلا بد أن يكون في الحياة ما هو أعمق و أعظم من هذا الروتين الدائم الذي يجعل حياة الناس نغمة واحدة تتكرر لا تتبدل . وبدأ وجهها الجميل يكتسي القلق والشروء والحزن ... إنها تبحث عن الطريق ، وتلجأ لكل وسيلة ممكنة ... و ما زالت تبحث عن طريقها في الحياة ، بوسيلة أساسها المعرفة و الثقافة ... وقد قررت ألا تستسلم أبدا حتى تصل إلى شيء . المعرفة بئر عميقة حفرتها الطبيعة منذ آلاف السنين ... و قد استخدمت الطبيعة في حفر هذا البئر كل غموضها و أسرارها ، و لذا فهي بئر رهيبة ، لا يقترب منها إلا الذين يمتلكون الشجاعة و القوة للاحتمال .



وكل المصاييح التي وضعت لهذا البئر لم تضئها إضاءة كاملة ، فما زالت البئر رغم المصاييح الكثيرة غامضة تحيط بها الأسرار و علامات الاستفهام ... وكل الذين دخلوا البئر عادوا إلينا يقولون : لا يمكن أن نصل إلى أعماق أعماقها !

الأنبياء الذين أنار الله قلوبهم على جبل ، أو في حلم من الأحلام ، أو إشراقة من الوحي قالوا : لا تجهودوا أنفسكم في معرفة الأسرار فهذا طريق المعصية ... أما إذا أردتم الطريق الصحيح ، فعليكم أن تؤمنوا بقلوبكم و مشاعركم .

و عشرات الفلاسفة جعلوا شعارهم كلمة واحدة هي : لا أدري ... وفي بئر المعرفة ضاع كثيرون ... و تعذب كثيرون ... تولستوي : الكونت الإقطاعي ، القوي الصحة كأنه حصان ، كان في الخمسين من عمره سعيدا بزوجته ، و شهرته التي تملأ العالم ، و ثروته الكبيرة ... وفجأة أصيب بالحنين إلى بئر المعرفة المطلقة ، واستيقظ في منتصف الليل و هو يقول : أريد أن أعرف سر الحياة و هدفها الحقيقي ؟ فجرى إلى بئر المعرفة وغرق فيها ، و انتهت قصة هدوئه و طمأنينته.

أنه يريد شيئا أبعد و أشمل ... يريد تفسير هذه الأسئلة الستة بوضوح :

لماذا أعيش ؟ ما سبب وجودي و وجود كل إنسان غيري ؟ ما سبب الخلاف الذي يوجد بداخلي بي الخير والشر ؟ كيف يجب أن أعيش ؟.. ما الموت ؟.. كيف يمكنني الوصول للنجاة ؟

لقد وقع في بئر المعرفة ... ثم أضاع بعض المصاييح مثل الدين و الأخلاق و العدل الاجتماعي و الحب ... وبقيت له على صفحات التاريخ قيمة "المحاولة العظيمة".

لقد خرج من عالم الاستقرار الوهمي الذي كان يعيش فيه ، و بدأ يحس بمشاكل الناس و يرى القبح الذي كان يملأ العالم و يشوّهه ، ووقف ينادي بتغيير العالم ، وجعله مكانا أرحب للعدل و الحب و الجمال .لقد انتقل تولستوي بنفسه من مرحلة " السعادة " إلى مرحلة "العظمة". ترك الحياة السعيدة الهادئة ، إلى حياة عظيمة ليس فيها هدوء .

و في تاريخ الشرق قصة أخرى مشابهة ، خرج صاحبها من النعمة و الهدوء ، إلى التعب و الشقاء في سبيل المعرفة و الحقيقة . و كانت المعرفة و الحقيقة في نظره أيضا هما العدل و الحب . وهو " بوذا " ، كان أبوه من أكبر الأمراء الأثرياء في الهند ، وكان هو الابن الوحيد لأبويه ، و وارث الثروة الوحيد ، و معنى كلمة " بوذا " الذي يعرف .

وعندما بلغا " بوذا " سن الشباب بدأ يتساءل عن المشاكل الكبرى في الحياة و المجتمع ، وكان بإمكانه أن يجعل من ثرائه و سعادته سورا يفصله عن شقاء العالم و لا يسمح للأسئلة عن " الشقاء الإنساني " أن تضنيه و تقتحم عالمه ... و لاحظ أبوه عوامل القلق و الحيرة تتسرب لابنه ، فحاول أن يغريه يشتى ألوان الإغراء ليثنيه عن العالم الجديد ... ألم المعرفة الإنسانية العميقة ... و التساؤل .ولكن بوذا ترك كل شيء ... ترك ثروة أبيه ... و زوجته و ابنه الطفل ... و ذهب ليغرق هو الآخر في بئر المعرفة ، عاش في كهف مظلم ، و أخذ يقرأ و يدرس ... ثم خرج بحكمته ، و فهمه الجديد للسعادة... "سعيد كل من رأى الحق ، و سعيد كل من خلت نفسه من سوء النية "و جعل هدفه (أن يسعى لإراحة المتعبين ، و إسعاد المكرويين ، و انزال السكينة على قلوب الذين ناءوا بأعباء الحياة ، و تشجيع المستضعفين حينما يشرفون على فقد ثقتهم بأنفسهم).

ويهاجم الذين يعاملون الإنسان كأنه عبد ، والذين يبحثون عن الثروة ولو بالسرقة و الظلم ، والذين يتفرجون على الإنسان وهو يتعذب ... كأنهم يشاهدون شيئا مسليا طريفا !. ولقد تعذب طيلة حياته ولكنه حمل الابتسامة إلى شفاه الكثيرين من التعساء ، والقوة إلى قلوب الضعفاء ، و رفع معنويات الذين أرهقتهم الدنيا و سحقتهم ظروف المجتمع .

بالنسبة لتولستوي و بوذا ... كان هذا الحريق الذي خرج إلى مسرح الحياة فأثر على حياة الناس مصدر عذاب ، ولم يستطيعا تجنبه أبدا... والذين يحملون في نفوسهم " شرارة " المعرفة ، وحينما كبيرا إلى رفض الحياة الروتينية ... هم دائما الذين يرسمون للحياة مستواها الجميل ، رغم ما يلاقون من تعب ...

الصخرة

كثيرا ما تحدثنا أنفسنا في ملل ... إننا نفعل الشيء نفسه كل يوم ... و تمر بنا الأيام فنكتشف أن حياتنا نفسها ليست إلا تكرار لحياة الآخرين ، هذه الحياة التي تدور في دائرة تكاد تكون مغلقة ... فكل شيء متكرر لا يتجدد ، روتيني لا مفاجأة فيه . وقد تصور اليونان القدماء الحياة الرتيبة في إحدى الأساطير، حيث تقول الأسطورة أن كبير الآلهة اليونانية غضب على " سيزيف" وحكم عليه حكما عجيبا ... وهو أن يحمل صخرة من سفح الجبل و ينقلها إلى القمة على مئة مرحلة ، و عند بلوغ الصخرة قمة الجبل تسقط من جديد إلى الأسفل ليعود إلى نقلها من جديد ، و تتكرر القصة كل يوم . وترمز هذه الأسطورة إلى أن حياة الإنسان بلا جدوى و لا معنى ، " سيزيف" يرمز إلى البشر ، و الصخرة فترمز للعمل و الحياة اليومية التي نعيشها و نكررها دائما .

الصدقة و الحب و العمل قد تغرينا ، ولكن التجربة تثبت أنها لا تقضي على ما في الحياة من تكرار، بل على العكس ، تدخل تحت سلطان التكرار ، و تفقد بريقها بعد قليل من التجربة . و لكن أشهر من ارتبط بمشكلة " العبث " هو " ألبير كامو " ... الذي ظل طيل حياته الأدبية يعبر عن فكره " العبث " ويكتب رواياته و مسرحياته و دراساته الفلسفية ، ثم التقط الأسطورة اليونانية " سيزيف " و ألف عنها كتابا كاملا . وفي سنة ١٩٦٠ مات فيلسوف العبث ألبير كامو وهو في السابعة و الأربعين من عمره ، وهو يقود عربة ، حيث انقلبت العربة به ومات وحده وعاش كل من كان معه فيها !

و الإنسان عند كامو هو الذي يثبت أن الحياة " عابثة " خالية من المعنى ... ولكن كامو يتوقف و يسأل : هل معنى ذلك أن الانتحار هو الرد على هذا الإحساس بالعبث ؟! ... أليس من الأفضل ألا نحمل الصخرة إلى أعلى ما دام ذلك لا أفدته منه ؟

ويجب كامو بأنه:

" على العكس يجب أن نتقبل الحياة و نتحملها ، ويجب أن نتخلص من الحزن الذي لا حد له " .

و إذا كانت الحياة خالية من المعنى فيجب علينا أن نعطيها معناها ... و الطريق الصحيح هو الوعي ، فكلما ازداد وعينا ازداد احتمالنا للحياة ... " فالحقائق المؤلمة الساحقة تفنى عندما نعرفها و نعترف بها " ... ما دمنا نعرف مصيرنا و نعترف به ، فإن ذلك سوف يؤدي بنا إلى الانتصار و الارتفاع على الأحزان و على الرغبة في التخلص من الحياة .

و كوما يرى أن سيزيف يبلغ قمة المأساة التي يعيشها الإنسان فعليه أن يرتفع فوقها بوعيه و شعوره بالاحتمال و الفهم . وفي الطريق سيكون معنا مصباح يضيء و هو الحكمة ... و الحكمة هي الإيمان بالعمل ... إنه أنشودة السعادة ، لأنه يملأ لحظات حياتنا و يجعلها صافية شفافة ... إنه سلاحنا القوي في وجه " الروتين " و " التكرار " و كلما كان العمل قائما على أساس من الوعي و الإدراك كانت مقدرتنا كبيرة على أن نسعد بالحياة سعادة داخلية عميقة ، و كانت مقدرتنا أوسع و أشمل في التغلب على ما في الحياة الإنسانية من " عبث " و " عدم جدوى " . وبذلك ننتصر على الصخرة .



الحب لا يتكلم كثيرا

الإنسان الذي يتكلم كثيرا ، و يصافحنا في عنف و حرارة و يؤيدنا و يجاملنا في كل ما نقوله ، ويسأل عنا دائما بسب و بدون سببهذا الإنسان غالبا إنسانا عاطفيا .

ويحدث أن نتعرض لبعض التجارب القاسية ... حيث ينكشف لنا معدن الناس ، و نلتفت حولنا ثم نكتشف شيئا عجيبا ، فالذي سحرنا بحرارته و اندفاعه قد اختفى و نحن نصارع التجربة القاسية وحدنا و نمر بالأزمة العنيفة ، بل قد نكتشف ما هو أعجب ، حيث أن من صنع هذه الأزمات هم الذين ظهروا أمامنا دائما بمظهر العاطفيين المندفعين نحونا في حرارة و دفة.

و هذا التناقض يثير سؤالاً هاماً عن الإنسان العاطفي .من هو؟ و كيف تعبر العاطفة الصحيحة عن نفسها ؟

لقد أثبتت التجارب الإنسانية الكثيرة أن الذين يزخفون عواطفهم بالكلمات المثيرة ، و الحماس الخارجي الحاد ، هم في الحقيقة أبعد الناس عن العاطفة الصحيحة الصادقة . فالعاطفة بحد ذاتها جمال و زخرفة الحياة ، و هي تعطي صاحبها اكتفاء و سعادة داخلية ، ثم تكون فيه احترام هذه العاطفة ، فلا يمكن أن يبعثرها في مناسبة مبتذلة ، بل ينتظر دائما الفرص الحقيقية للتعبير عن عاطفته في بساطة صادقة.

يروى نهر في حياته قصة كانت موضع تأمله الطويل : " حيث أنشأ بعض الطلاب الهنود في لندن جمعية لهم ، و كانوا يناقشون فيها السياسة الهندية بشكل بالغ التطرف ، كانوا دائما متحمسين متطرفين " أما نهر كان قليل الكلام ، ولذلك كان الطلاب المتحمسون يوجهون إليه دائما اللوم بسبب صمته و عدم حماسه ، ثم مرت الأيام وعادوا كلهم إلى الهند فكتشف نهر شيء عجيب يقول : " وجدت هؤلاء المتحمسين المتطرفين بالذات قد أصبحوا موظفي إدارة الانتداب الإنجليزية في الهند ، ولم يلعبوا في الحركات السياسية أي دور فعال ، أين ذهب سخطهم على الإنجليز ؟ و أين حماسهم العنيف ؟ . كل ذلك تبدد على المكاتب الفاخرة التي أعدها الإنجليز لهم في الهند " .

والذي لم يقوله نهر أنه - و هو الصامت الذي لم يكن يتكلم كثيرا - قد دخل معركة الهند بكل قواه ، و سجن وأوذي لسنوات ، وكان في طليعة حركة الاستقلال الهندية الكبرى ، التي كان قلبها غاندي ، و عقلها المفكر نهر ... فالمتحمسون الذين كانوا يضربون المناضد بأيديهم كانوا في الحقيقة هم أقل الناس عاطفة نحو الهند ، أما نهر فكان يحمل عاطفة عميقة ، وهي بسبب عمقها بسيطة لا تلجأ إلى الزخارف و المبالغات ، و قد ظلت هذه العاطفة كامنة هادئة ... تنتظر الفرصة المناسبة لتظهر بقوتها الحقيقية في الظروف القاسية ، و التجارب الكبيرة .

أرقى مقياس للعاطفة الصادقة هو " ضبط النفس " حتى لا ينساق الإنسان مع الأوهام ، ومع المشاعر الأولى التي ينقصها النضج ، و حتى إذا كانت هذه المشاعر عنيفة ، فمن الأفضل أن يكون لها " لجام " من يحد منها ، و يوجهها نحو هدف بدل الانجراف . فالاستسلام للعاطفة الزائفة " يحدث فينا انطباعات مزورة عن الأشياء الخارجية " .. و هذا الاستسلام نوع من " الخداع الذاتي " و هو إحدى درجات " الضعف العاطفي "

فصاحب العاطفة الثابتة القوية لا يصيبه تغير سريع و لا يلجأ إلى الزخارف و المبالغات التي تخلو من البساطة و الوداعة ، اللتان هما علامتان للعاطفة الصادقة الناضجة .



و هذا السبب الذي يجعلنا نرى هؤلاء الذين يعبرون عن عواطفهم بعنف و هم يسلكون سلوكا مناقضا لعواطفهم الظاهرة التي أعلنوها ، وذلك عندما يتعرضون لتجربة عميقة صعبة . و يكون هذا الإنسان شبيه بالوجه القبيح الذي أخفى نقصه بالمساحيق و العطور ... و إذا ذابت هذه الوسائل يبدو الوجه الحقيقي خاليا من الجمال و الوسامة .
وما ينطبق على عاطفة الفرد ، ينطبق أيضا على عاطفة الجماعة . وهناك فكرة شائعة و هي أننا شعب عاطفي يتميز فيه الإنسان بالحرارة و الانفعال الشديد .

وقد لاحظت الباحثة " سنية حمادي" في كتابها عن " المزاج العربي و الشخصية العربية " كثيرة الطقوس الاجتماعية العنيفة التي تعبر عن عواطفها ، ففي الريف مثلا لابد أن يمر " جهاز" العروس بالقرية كاملة ليراه الجميع ، هنا ينضح أن عاطفة الفرح تعبر عن نفسها بمظهر اجتماعي واضح. أي أن "المظهر الاجتماعي" يسبق و يفوق "المظهر النفسي" الإنساني الذي يتصل بنفسية العروسين و حدهما ، و هذا المظهر الصاخب لا علاقة له بالشعور العميق الذي يستقر بداخل الإنسان و يدفئ قلبه بالمشاعر .
وتلك هي القاعدة الشائعة للعواطف في كثير من البيئات المختلفة ، فالطقوس الخارجية أهم من المشاعر الداخلية الهادئة . التي يشعر بها الإنسان و حده أو مع عدد قليل من المقربين من قلبه و أحاسيسه العميقة . وكذلك الاحتفال بميلاد الطفل يأخذ مظهر اجتماعي، والموت يتحول الحزن فيه أيضا إلى ظاهرة اجتماعية، حيث نبرز ظاهرة "الندب" في الأرياف وأظهر فضائل الراحل ببكاء.

ومن مظاهر هذه النزعة العاطفية أيضا الانفعال السريع ، سواء بالغضب أو السرور ، و كثيرا ما تؤدي كلمات بسيطة إلى مشاكل عنيفة و كبيرة . و قد تؤدي إلى معارك تنتهي بالقتل ! ... و كلمة أخرى قد تؤدي إلى انفصال صديقين مدى العمر! ...
وذلك كله بسبب التركيز الشديد على النفس ، واعتبار أي مناقشة أو تعليق خارجي هجوما على " الذات " يستحق الاستعداد للدفاع ، و الانفعال بهذه الطريقة يرجع إلى ضيق البيئة و قسوة الحياة ، فليس للإنسان الوسائل التي تجعل صلته بالعالم عميقة ، و إحساسه بالناس و الوجود رحيبا .. و تلك الوسائل هي الثقافة بشتى فروعها ، و التجربة الواسعة ، ثم رحابة الحياة و اتساعها .
وفي البيئة الزراعية تبرز العاطفة بعنف ، فالإنسان فيها لم يتعود تلك الصفة الأساسية للعاطفة الناضجة " ضبط النفس " وهي . و هذه البيئة لضيقها و بساطتها و استقرارها الدائم ، و عدم وجود فرصة واسعة للتجدد و الابتكار فيها ، وسعت من سلطان النزعة التي ينقصها النضوج ، فتأخرت النظرة العلمية التي لم تظهر إلا أخيرا ، ففي الماضي كان الميل دائما إلى التفسير العاطفي للوجود ، و لا يبذل جهدا فكريا يخرج من سلطان الدهشة و الإعجاب إلى نطاق التفسير و التفكير .

وقد بدأت الحياة تتجه نحو نوع آخر من العاطفة ... فقد تسللت الآلة إلينا ، وبدأ المصنع ينافس الحقل ، و ظهر إنسان جديد في بلادنا له مواعيد منتظمة ، و عمل متخصص ، و علاقات اجتماعية لها نظامها أيضا . و بدأت الثقافة تنتشر و تدخل إلى بيئات جديدة عن طريق الكتاب و الجريدة و التلفاز و الراديو . وكل هذا سيؤدي إلى تنظيم " الدورة التنفسية " للمجتمع ، و يرفعه للعاطفة العميقة الأصيلة لا الكاذبة . فالإنسان يجب أن يعيش حياة بسيطة و عالية الهدف بالوقت نفسه ... فأصحاب العاطفة الكبيرة هم في الوقت نفسه أصحاب العاطفة البسيطة ... هم الذين يراقبون مشاعرهم فلا يقولون كل ما يحسون به ، بل يقولون أجمل و أهم ما يحسون به في أبسط صورة ... كلماتهم قليلة و لكنها غنية و سهلة و عميقة .

فالسلوك الإنساني ، و العلاقات بين الناس ... كالحب و الصداقة و الفن باعتباره تعبيراً عن العاطفة ... تخضع لقاعدة واحدة حتى تكون راقية ، وهي قاعدة " ضبط النفس " و يجب أن تتخلص كلها من المبالغة و الزخارف ، و تنتقل من الصوت المرتفع و كثرة الكلام و الثثرة إلى الهمس النقي الذي يختار كلماته بأناقة ورقة و عمق . بهذه الطريقة نصبح عاطفين حقا.



أي ... إني أكرهك

بدأ يبكي بصوت خفيف ، ثم ارتفع صوته شيئاً فشيئاً حتى ملأ جوانب الحجرة ، و أصبح بكاؤه أشبه بالصراخ ... و لم يكتفي الطفل الصغير بذلك ، بل أخذ يضرب الحائط بقبضة يده الرقيقة الصغيرة . وفي الحجرة كان الأب و الأم يوشكان على النوم ، و حان موعد الأب الذي ينام فيه ، كان الأب من نوع الرجال الذين يفرضون إرادتهم على أفراد البيت. إنه قوي الشخصية حاسم الكلمة لا يحب المعارضة و لا يقبلها ، عاداته ثابتة راسخة ... أما الأم كانت على عكسه إنها رقيقة مطيعة لزوجها لا تعارضه مطلقاً ، و هي تدلل أبنائها و تداعبهم كثيراً إذا ما كان الوالد بعيداً عن البيت ، أما في حضوره فلا كلمة إلا ما يقول ...

اشتد بكاء الطفل فقام أبوه إليه ، و سأله بشدة و حزم :

- ماذا تريد ؟

- لا شيء...

- إذا لماذا تبكي ؟

- أريد أن أشرب ...

و قدم له الأب كوباً ماء ، ولكن الطفل لم يكف عن البكاء ... أخذه والده ووضعه في سريره ، وطلب منه بكلمات قاسية أن ينام ، و لكن الطفل استمر بالبكاء ... عاد الأب و لم يتكلم هذه المرة ... إنما أخرج الطفل من سريره و حمله إلى الشرفة حيث تركه بعض الوقت وحيداً ، وليس عليه إلا رداء رقيق ، و أغلق باب الشرفة تاركاً الطفل بالفزع و الظلام ... أما الأم فقد وقفت بسلبية ، و لم تعترض و لم تقاوم ، و لم تستطع انتزاعه من يد أبيه ، بل لم تفكر في التعبير عن يخطئها على الأب .

و كبر الطفل و أصبح شاباً معروفاً بشخصيته الخاصة ، و ميوله المتميز كان اسمه "فرانز كافكا" و أصبح "فرانز" أديباً كاتباً كبيراً لقد حملته الأيام إلى مراحل جديدة من العمر غير مرحلة الطفولة ، و لكنه لم ينسى أبداً ذلك الحادث الذي وقع له في طفولته.

لكن هذا الحادث كان جزءاً دالاً من سلوك الأب و شخصيته العامة ، و لم يتغير هذا الأب عندما تغير أبنائه و تقدمت بهم السن و أصبحوا في مرحلة الوعي المستقل ، و يعامل أولاده و على رأسهم "فرانز" نفس المعاملة القاسية ، والتي تدل على شخصية واثقة من نفسها ثقة سدت عليها منافذ الإيمان بالآخرين ... فليس هناك في نظره من يدرك الأمور الصحيحة غيره ، و ليس من سلوك صائب سواء سلوكه ... فإذا اختلف معه أحد أبنائه فإن هذا "الاختلاف"

ليس له معنى إلا الخطأ و سوء التقدير ... و هذه الشخصية لديه مدعومة بعدة عوامل ... فهو تاجر يهودي ، بدأ حياته من السفح ، ثم أصبح باجتهاده و مثابرته و قسوته على نفسه تاجراً غنياً ، و هو قوي الجسم ، ممتد القامة ، عريض الصدر ... و من هذا اكتسب ثقة كبيرة في نفسه . حيث كان يقول لأبنائه: " إنكم تعيشون حياة جميلة أكثر مما يجب "

ولكن خرج أديباً فناناً ، و لم تكن علاقته بالأدب والفن عن طريق القراءة و الكتابة فقط ، بل كانت إحساساً عميقاً مسيطراً على شخصيته كلها ... كان يعالج كل أمور حياته بتلك الحساسية الدقيقة الذكية في الوقت نفسه ، واستطاع على هذا الطريق أن يصل لمستوى كبير من الفن ، فأصبحت رواياته و قصصه القصيرة من أروع ما أنتجه القلب البشري في القرن العشرين ، وأصبح فنه من أبرز الشواهد و أصدقها على ما يعانيه الإنسان الحديث من آلام و مأسى عدة .



و كانت هناك ثلاث قضايا رئيسية في حياته ، الأولى هي قضية الحياة في ألمانيا في مطلع القرن العشرين ، لقد كانت مريرة ، حيث التنافس الفردي و لا يوجد بين الناس نوع من التعاطف أو الحنان، يأكل الكبير الصغير ، و ليس هناك حد للثراء ، ولا حد للفقر .. و يمكن أن تكون مليونير بأي طريقة ، سواء عليها علامة شرف أو لا ، ولا يمكن أن تستريح الحساسية الذكية لهذه القسوة الخالية من الجانب الإنساني المتناسق السليم .

أما القضية الثانية فهي قضية حبه ، فقد خطب فتاة بعد حب ، و بعد فترة تمزق حبه . حيث كان الاختلاف بينهما أساسيا ، هو يفكر في كل شيء و يشعر بكل شيء، و كان كل شيء على غير الفطرة الإنسانية السليمة في ذلك المجتمع الألماني ، و لكن ماذا يعني الفتاة كل هذا ؟ إن "كافكا" في نظرها محامي ، و كاتب ، و ابن رجل غني صاحب ثروة كبيرة ، فما يعينها إذا عاشت سعيدة و لا يكون الناس سعداء ؟ أما هو فيفكر فيما هو أبعد ، أنه يرى الدنيا تحت " ميكروسكوب " حساسيته ... و يراه حزينا قاسيا فيفكر و يتألم و يأسى ، و النهاية " يفشل " حبه ، ومرة ثانية يحاول أن يتزوج ، ولكنه سرعان ما يفشل ، وعند الفشل الثاني يكتشف مرضه بالسل .

وتبقى القضية الثالثة ، هامة و أساسية وهي " علاقته بوالده " تلك العلاقة السيئة التي خلدها "كافكا" في رسالة كتبها ذات يوم لأبيه ... وسلمها لأمه النبيلة لتعطيها والده القاسي المعزز بنفسه ... و لكن الأم أخفتها حتى مات الأب و مات الابن ، و ذهب صديق الفنان الناشر المثقف " ماكس برود " ليجمع أوراقه ، و يقرأ وصيته ، فوجد الرسالة في الأوراق فنشرها ، و كانت طويلة كبيرة في حجم كتاب صغير ... أما وصية "كافكا" قبل موته لصديقه " ماكس برود" فهي حرق كتبه كلها ، وجميع أوراقه فليس فيها فائدة و لا نفع في نظره... و لم ينفذ " ماكس" فكر الوصية ، بل كان أحرص الناس على نشر إنتاج "كافكا" و تقديمه لمسرح الثقافة الأوروبية بل و الثقافة العالمية .

إن رسالة كافكا لوالده هي درس كبير من دروس الحياة الإنسانية ، فالظاهر هي موجهه لوالده و لكنها بالحقيقة موجهة لكل والد ، و نموذج والد " كافكا " نموذج شائع معروف في شتى المجتمعات، ولنعد إلى رسالة "كافكا" لنرى ذلك الفنان مع والده ، إنه

يبدأ الرسالة بقوله :

"منذ عهد غير بعيد سألتني عما يخيفني منك ، فلم أدر كعادتي معك بما أجيب ، ويرجع ذلك من ناحية إلى ذلك الخوف الذي يملك على نفسي إزاءك ، و إلى أن دوافع هذا الخوف كثيرة و متعددة يصعب الكلام عنها في دقة و تفصيل"

هذه العبارة تعني أن العلاقة بينه و بين والده إنما تقوم على خوف ... خوف الابن ... لا يحاول أن يفهم و هذا هو الأساس الأول الذي أدى بعد ذلك إلى عدد من النتائج على جانب كبير من الخطورة . وهو من ناحية نتيجة لسلوك الأب و شخصيته الخاصة . فهو لا يحاول فهم نفسية الطفل فهما صحيحا ، بل يعامله كما لو كان ندا له . ومثال ذلك القصة بالبداية ، لنسمع "كافكا" ماذا

يقول في تلك الرسالة عنها :

"من المؤكد أن العطش لم يكن الدافع الوحيد للبكاء ، و لكنني كنت أبكي أثرك من ناحية ، و لأتسلى من ناحية أخرى ، ولما لم تفلح تهديداتك العنيفة المتكررة في إسكاتي أخرجتني من سريري ، و حملتني إلى الشرفة حيث تركتني بعض الوقت ... إلخ. هذا هو الطفل الحقيقي ... إنه يبكي أحيانا للإثارة ، و أحيانا للتسلية ... إنه يريد إثارة الانتباه ، و يشعر بوجود الأب ... و هذا حق من حقوق الطفل ، بل و جزء من الطبيعة البشرية السليمة في تلك المرحلة . و على الأب أن يقدرها تمام التقدير ، و يعالجها بطريقة سليمة ... بدل أخذها بالعقاب الذي يؤدي لآثار سيئة ضارة .



و يبين "كافكا" هذه الآثار السيئة في رسالته :

"لقد كان ذلك سبب كافٍ ولا ريب لجعلي مخلوق مطيع في الظاهر ، و إن كان سبب ضررا آخر خفيا ، فلم يكن ذهني ذلك الوقت يدرك العلاقة بين طلب الماء و إخراجي إلى الشرفة ، فالأول بدى طبيعيا جدا في نظري ، و الثاني مريعا و مخيفا ، و لقد ظلمت سنين طويلة أنألم في مرارة كلما تذكرت كيف أن ذلك الرجل الجبار، الذي هو أبي وهو الملاذ الأخير لي ، كان يستطيع أن يخرجني من السرير بدون مبرر قوي أثناء الليل ليتركني هناك ، مدلا بذلك على تفاهتي و ضالة شأني!!".

و النقطة التي يشير إليها "كافكا" هي عدم الثقة بالنفس و الإحساس بأن الإنسان لا قيمة له و لا أهمية ... هذا النوع من الشعور هو أمر مدمر قاتل ، قد يؤدي لانهايار الشخصية تماما و هو يؤدي أحيانا إلى نوع من التمزق و القلق المبرر ، و هو الذي سيطر على "كافكا" حتى أصيب بالسل و مات . و في بعض الأحيان يصبح انعدام الثقة مفيدا ، لأنه يدفع للعمل الجاد و الاجتهاد، ولكن ذلك لا يتحقق إذا كان هذا الشعور بانعدام الثقة غائر و عميق في النفس إلى حد يشل قدرة الإنسان عن العمل . فقدرا محدودا من هذا الشعور هو وحده الذي يفيد الحياة الإنسانية السليمة .

وعلى الآباء أن يفكروا كثيرا في علاقتهم بالأبناء ، والتخلي عن جعلهم حقلا للتعويض ما ينقصهم في حياتهم ، كأن يتحول الأب المستضعف في المجتمع إلى دكتاتور مع أبنائه ، أما التعويض السليم فهو أن يتلمس الأب قوته في تقوية أبنائه ومساعدتهم على الحياة.

و نقطة أخرى على درجة كبيرة من الأهمية يثيرها " كافكا " فيقول :

"لقد كان محرما علينا نحن أن نمتص العظام ، أما أنت فكنت تفعل ، و كان محرما علينا أن نلحق الخل ، أما أنت فكنت تلعبه ، كنت ترى أنه يجب تقطيع الخبز قطعاً متساوية نظيفة ، و لكنك كنت تقطعها بسكين ملوث بالصلصة ، كنت تحذرنا من أن يقع فتات منا على الأرض ، و لكن عقب الطعام كنا نرى كثيرا من الفتات المتناثر حيث كنت تجلس "

إن "كافكا" يؤكد هنا خطورة التناقض بين القول و الفعل . فإذا كان هذا المبدأ سليما في كل الأمور، فهو أكثر سلامة في ميدان الأبوة ، حيث قد لا يتمكن الابن من اكتشاف التناقض في القول و الفعل عند الأستاذ أو زملائه أو جاره ... ولكنه حتما يكشفه في حياة والده ، لأنه يعيش معه و قت طويل.

لقد مات "كافكا" حزينا متألما بعد حياة لم يهنأ فيها بأب يتعاطف معه و يحترمه . لكن عذابه قد منحنا أشياء عظيمة ... منحنا عزاء نفسيا ، و دعوة إلى الحياة في انسجام و تناسق و كراهية للتناقضات التي يغلف بها الناس حقيقة الحياة . أما رسالته لوالده فهي فن صادق ، و درس اجتماعي ذكي ... يعلمنا فن الأبوة الحقيقي على أنه فن سامي صعب خطر في نفس الوقت ، يحتاج إلى جهد و مثابرة و تواضع حتى يكون أساسا لتكوين أشخاص إيجابيين أصفياء ، لا طريقة للتعقيد النفسي و دمار الإنسان في الحياة.



المغامر

هذه الحالة تحدث كثيراً وهي أن يتحول الشاب الثوري إلى مغامر ، وهي حالة من الحالات العنيفة المريرة التي يتعرض لها بعض الشباب في بيئات خاصة ، من هذه البيئات البيئية السياسية في مصر قبل الثورة ، كان هناك بعض الشباب ينظرون إلى الحياة في أسف و مرارة ، وكانت كل الحلول تدريجية التي تعتمد على العقل الهادي عاجزة على أن تجد حلا لأزمة المجتمع ، لذلك كان هؤلاء الشباب يفكرون في حل الأزمة بالانفجار والعنف . وبدأ عدد من هؤلاء الذين يحلمون بتغيير المجتمع وتخليصه من أزمته يلجؤون إلى العنف.

في الوقت الذي كان على الواحد من هؤلاء الشباب أن يهتم بالحب وفي الوقت الذي كان من حقه أن يشرب من متعة الحياة الصافية دون أن يحمل هموم أو أفكار تثقل مشاعره بأفكار قاسية وهو في عمر الحب والاستمتاع بالحياة .. كان هؤلاء الشباب يتكون كل شيء ويتعلمون العنف والإرهاب والاعتقال وعلى رأس هذه الأسباب الإنجليز الذين كانوا يستعمرون البلاد ، وتمر السنوات و هم مشغولون ليلاً نهاراً بهذا العمل العنيف من أجل بلادهم والخلص من الاستعمار الذي يجعل الحياة كئيبة بل مستحيلة ، فيبدأ الشباب يعيشون في جو جديد ويشعرون بألفه كاملة معه شيئاً فشيئاً حتى يصبح معنى الحياة الوحيد بالنسبة لهم هو العنف ، الاستغراق الكامل في جو من أجواء يؤثر على بعض النفسيات تأثيراً عنيفاً، انه يجعل هذا الجو بالنسبة للإنسان هو الحياة لقد كان اختيار العنف في أول الأمر مجرد وسيلة لا غاية ، ولكن الاستغراق في جو العنف لمدة طويلة يجعل العنف هدفاً مستقلاً وليس له غاية. وهنا يتحول الثوري إلى إرهابي ثم إلى مغامر.

وقد تلقيت رسالة من أحد هؤلاء الشبان الذين عاشوا جو العنف في حياتنا قبل الثورة وتحول العنف بالنسبة لهم إلى غاية دائمة. ولكن هذا الشاب لم يستطع أن يتخلص من تجربته القديمة ، إن جو العنف والإرهاب هو الجو الوحيد الذي يناسبه. إن المغامرة توفر له الجو القديم العنيف نفسه ، وتجعله دائماً مشغولاً عن نفسه ؛ لأنه لو وقف أمام نفسه وجهاً لوجه ، لما وجد في حياته شيئاً مريحاً ، إنه لم يعرف الحب أبداً والحب في حقيقته التربية طويلة عميقة، ولا يمكن لإنسان حرم من هذه التربية أن يعيش تجربة الحب بطريقة سليمة وليس في حياتي هذا الشاب أيضاً مهنة أساسية يمكن أن يلجأ إليها ويهتم بها أو غير ذلك من دعائم الاستقرار والهدوء والتحول إلى حياة جديدة. فعد أيها المغامر الحبيب إلى وطنك وملكك قلبك بإحساس جديد. إن أبسط العمل المتواضع يعتبر الآن خدمة للوطن ، فعد وأبحث عن الحب والصدقة والأمن هنا في أرضك العربية ، عد إلى أي عمل متواضع هنا. هذا هو طريق الخلاص من الأزمة النفسية. وليست المغامرة أبداً هي الطريق.

العجز العاطفي

حرية المرأة في العالم تجربة جديدة ، وهذا هو سر المرض الذي تعانيه بعض نماذج المرأة في هذه الأيام. ” إنه العجز العاطفي “. وهو أخطر من العجز الجنسي وأكثر تشويها لمعان الحياة والبنات المصابات بهذا المرض في حيرة أنا هنا لا يعرفون ماذا يفعلون بالحرية. لقد أصبح هذا النوع من البنات حائراً بالحرية، لا يدري ماذا يفعل بهذا العبء اللذيذ ولكن الحيرة والقلق تحولوا بمرور الوقت الى ذلك المرض الخطير ؛
” العجز العاطفي “



واكبر أعراض هذا المرض أن يقول لك وجه المرأة : أنها لجميع الرجال وليست رجل واحد.
يكشف تشيكوف أن الشيء الجميل العميق إنما هو شيء بسيط متواضع، أم الثرثارون المتظاهرون، فهم تفاهة أنيقة ملفوفة بالسلفان وهذا النوع من النساء نموذج نراه كثيرة في حياتنا .. امرأة تريد أن تكون مهمة وتتعرف على المشهورين بدون مقياس أوعى وهي دائماً تريد أن تحيط نفسها بمجموعة من التافهين ؛ لتغذي عجزها وشذوذها العاطفي: عجز المرأة عن حب رجل واحد والإخلاص له هو مرض يشقى المرأة كما يشقى الرجل ، إنه يؤدي بالمرأة نفسها إلى المأساة.
فلا بد أن تتحطم حياتها في النهاية ولا بد أن تقف في آخر الأمر أمام حياة كلها فراغ، وليس فيها ذكريات سوى الأم.

الجسد

يقول الكاتب برنارد شو :

قولنا العقل السليم في الجسم السليم خطأ، لأن الجسم هو ثمره العقل السليم
هناك فئات من الناس تنظر إلى الجسد على أنه شيء مرداف للخطيئة وهناك فئات أخرى ترى أن العناية بالجسد تتناقض مع العناية بالروح وأن مطالب الروح في الإنسان تحتم تعذيب الجسد وعدم العناية به وقد وصلت هذه الفكرة إلى بعض العقائد في إيران والهند هناك مناسبات لدي المؤمنين في هذه العقائد إلى تعذيب الجسد تعذيبه مادياً.

وقد كان غاندي يصوم حتى يصبح على شفا الموت والهلاك وكان يمتنع عن أي علاقه جسديه مع زوجته ولكنه كان يفعل بدافع ايجابي هو التعود على ممارسة المصاعب والسمو الروحي من أجل تحقيق أعلى معايير التضحية في نفوس المواطنين الهنود الذين كان عليهم أن يعملوا كثيراً ليتخلصوا من التدهور الذي وقعوا فيه نتيجة الاستعمار الغربي.

وقد كانت حياة المسيح نفسه تقوم على أساس الاستغناء عن كثير من مطالب الجسد البشري فالمسيح لم يتزوج ولم يستجب للحب العائلي الذي حملته انسانيته كانت تملك عبقرية الجسد الفاتن وهي مريم المجدلية وقد اختار المسيح النضال الروحي أن الأصل في الحياة الانسانية هو الاهتمام بالجسد واعتباره وسيلة أساسية يقوم عليها بناء الحياة فتطرف المتصوف الهندي في تعذيب جسده بالجوع لمجرد التعذيب و الوصول إلى الصفا والاتصال بالله مثل هذا الموقف لا مبرر له وهو بقياس الحياة الحقيقية خطأ ينبغي أن يزول لقد استشهد الحسين وهو يناضل بجسد صحيح قوى احتمل الكثير من الأذى لفرط سلامته وصلابته لقد أصبح الدير بالنسبة للمسيحية مكان يتحدى فيه الإنسان جسده ويلجأ إلى الدير ناس احتقروا الجسد وقرروا تعذيبه للتقرب من الحقيقة العليا التي تسكن السماء.

وفي العصر الحديث نجد بلد مثل روسيا يسرفون في الطعام وفي السلاح لأنهم يؤمنون بأن الجسد الإنساني هو دعامة هائلة لكل إنتاج روحي فالجسد الصحيح لولد الفن ويدعم السلام أما الجسد المريض فهو بداية الطريق إلى الهدم.
وفي مصر القديمة بلغت قوه التفكير في الجسد أن اخترعوا المصريين ما يحفظ الجسد بعد الموت وهو التحنيط وبالنسبة لحياتنا نجد أن كثيراً من زعمائنا السياسيين يتمتعون بقوة جسدية مثل أحمد عرابي و سعد زغلول أما قوة الفكر هما برنارد شو و بلزاك إن الأفراد الذين يتطرفون في إهمال الجسد سوف يصدمون في النهاية بعقبات تنشأ من إهمالهم مطالب الجسد.



نصف الجنون

عندما نخرج من الطفولة تبدأ المشاكل لأن الطفل لا يعرف شيء اسمه الماضي ولا يخاف من المستقبل
وبعد الطفولة نقف في مفترق طريقين : طريق السعادة وطريق للتعاسة

إن طريق التعاسة طريق مناقض عندما تكون حياة الانسان خالية من شيء يحبه وينتمي إليه يبدأ التعاسة والضياع في التسلل
إلى حياته

إرادة البشر

في حضارات الانسانية فتره كان فيها كل شيء يفسر عن طريق الأساطير مثل نزول المطر يعني غضب الآلهة

وقد ظهرت في القرن الماضي في أوروبا عدة ظواهر منها المصانع والصناعة ونشأت فكرة الرأسمالية ولقد كان القرن الماضي في
حقيقته في عصر الفرد لا عصر الجماعة فتفسير أي شيء في حياة الانسان كان يعتمد على طبيعة الفرد طبيعته النفسية والعضوية

إن المسؤولية الفردية للإنسان غير موجوده وأن الإرادة الإنسانية لا دور لها في موقف الانسان من الحياه وهذا الرأي نفسه خاطئ

لنأخذ تاريخ الثورات أن الظروف تعمل على التحضير للثورة والتمهيد لها ولكن إرادة الفرد تعمل عمل كبيرا في توجيه الثورة كان
نابليون للثورة الفرنسية وكان لينين للثورة الروسية .

فإن إرادة البشر لها دور في توجيه الظروف وتحديد مسالكها واتجاهاتها المختلفة

إن الطبيب اليوم إذا كان مثقفا ثقافة عامه ثقافه غير طبيه بالإضافة إلى ثقافته الطبية فإنه يعتبر شيئا شاذ وثقافته العامة هي
التي ستمنحه معنى لعمله.

إن الإرادة في شخصيه المستقبل هو جانب مهم أن الثقافة وسيلة هامه من وسائل تربية الإرادة والانسان المثقف هو الشفاف
المرن الذي لا يتجمد في موقف أو في حاله الذي لا يتصلب أمام ظرف من المشاكل والشخص المثقف طاقه وليس كتله .
والفرق بين الطاقة والكتلة الفرق بين قطعة خشب وتيار كهربائي فالثقافة تؤدي إلى القدرة على مراجعة النفس باستمرار ونقدها
نقدا ذاتيا .

فقيمه الاعتدال تتمثل في وظيفته فإن الواجب أن نتطرف في الاعتدال هو أن نقيم وزنا للعنصرين في تفسير السلوك الإنساني
فالعنصر الفردي وعنصر الظروف الخارجية هما عنصران لتفسير السلوك الانساني.



منجم الفحم

* الإنسان يميل بفطرته إلى أن يحقق ذاته.

* الإنسان العظيم هو الإنسان الذي يذوب في عمل يؤمن به فيلهيه عن كل شيء حوله حتى الشهرة، والعظماء ينالون الشهرة بشكل عام أقل استمتاعاً بشهرتهم وأقل الناس رغبة فيها.

* كاتب روسي ايفان تورجنيف لم يتزوج وعاش حياته ينشد الحب والحنان وكان يقول مستعد أن يتنازل عن مجده الأدبي مقابل أن يجد زوجة وهذا يبين أن الشهرة ليست هي السعادة وان الشهرة الحقيقية الكبيرة تكلف صاحبها أكثر مما تعطيه الكاتب أو الأستاذ يحتاج احتياج تام ملموس أن يجد نتائج عمله ظاهرة في آراء الآخرين

* المثقفون يميلون إلى التفكير المقعد الذين تمتلئ نفوسهم بألوان متعددة من الطموح، ولكن أحياناً أن تكون غير واضحة العقبات

المرأة والفضيلة والحب

* تسربت الحياة من بين فتاة بعد أن بلغت سن الخامسة والثلاثين تدرك ذلك، وترجع بها الذكريات إلى الوراء ليس في حياتها حب لأنها لم تسمح بذلك، كل شيء فراغ إلا من التقاليد، ومراعاة التقاليد، والخوف من التقاليد.

* التردد والخوف وعدم الفهم للعصر الذي نعيش فيه يخلق مثل هذه الفتاة لأن الزمن يتجدد ويتحرك نحو هدف واحد وهو أن يصنع الإنسان هدفه الخاص بجهد الخاص.

* الإنسان وحده هو الذي يحدد قيمة نفسه، ونوع مستقبله، ولا يحرص على المظهر الخارجي بل يحرص على التغيير من عقله وقلبه، وأن لا يسير بمصباح وهمي ألا وهو مصباح التقاليد.

الزواج الكاذب

* لحظة العذاب هو عدو يطارذك والكتاب أو الرحلات والأصدقاء هم حصون تقيمها النفس لتهرب إليها وتحتمي بها، وكلما كان الحصن قوياً استطاع الإنسان أن يحمي نفسه.

* من العدل أن يكون أكثر الناس عذاباً هم أكثر الناس عبقرية، فهناك من الناس يعيشون أمام الألم دون أن يكون لديهم سلاح لمحاربته وقد عالج هذه المشكلة الكاتب الألماني "ليونارد فرانك" في قصته "كارل وأنا" وقد ربطتهم مأساة الحرب العالمية الثانية.

* تصبح الحياة ضيقة.. قاسية لا تعرف الرحمة على أمثال كارل وأنا ويقول المؤرخون بعد ذلك في بساطة أنها جريمة حرب !.



العاشقة

*ما هي صفة الحب الساحرة التي تجعل الشخص يقول أنه يحب؟ لا شك أنه لا توجد صفة واحدة محددة يمكن أن تكون سبباً واحداً ونهائياً للحب، فلكل عصر مثله الأعلى ولكن هناك قاعدة رئيسية يذكرها "إيفان توجنيف" في إحدى قصصه بعنوان "ذات مساء"

وهما صفتين خلقت الحب الحقيقي في قلب فتاة وهما (الحيوية والصدق)

الهاربون من الحياة

*صاحب الوجه الصامت والكئيب احذر منه، قد يرد عليك بتصرف فيه احتجاج، كما أن قراراً واحداً من صاحب هذا الوجه يعطيه السلام وطمأنينة النفس.. إنه قرار الفرار والهروب.

*لماذا نهرب من الحياة بالنسيان؟ أو بالعزلة أو حتى بالانتحار؟ لقد شغلت هذه المشكلة كل المفكرين في العالم!.

*تفقد فتاة الهدف في هذه الحياة فشعرت أنها لا تستطيع الماضي ثم لنا أن نتصور بعد ذلك أي شيء.. أن تنتحر.. أن تعود إلى عزلة أكثر قسوة.. أن تصاب بالجنون. وهنا نلمح تأثير الظروف الاجتماعية على نفسية الإنسان.

قد تكون رغبتنا في الهروب من الحياة نتيجة لـ

"عجزنا الشخصي"

من العثور على هدف ما لهذه الحياة.

*إننا دائماً نشكو من الغير ولكننا بشر مثلهم فإننا عرضة أيضاً لأن يشكو منا الغير، وإن كان هناك من يعترض طريقنا فلا بد أننا نعترض طريق غيرنا.

*إن السكر لا يعطي سوى وهم مؤقت ولا يمكن أن يكون مبدأ من مبادئ الحياة، والذين يحددون هدفاً معيناً في الحياة ثم يجدون أنه زائف لا يختلفون عن الذين لم يجدوا هدفاً من الأساس.

*أصعب الأشياء في الحياة لا يمكن أن تجعل المرء حزيناً ما دام أنه صاحب هدف واضح ونبيل يسعى لتحقيقه، ويسعد بالماضي إليه، لأن الإنسان بلا هدف يعيش في جحيم.



مرحبا بالخريف

مرحبا بالخريف. مرحبا بالأوراق الصفراء التي تتساقط في تسامح وتواضع ورضا كامل على الأرض .. مرحبا بروح التأمل الهادئة التي تملأ الطبيعة في هذا الفصل من فصول العام .. إنني لا أحس أن الأوراق الصفراء المتساقطة قد ماتت، بل أحس على العكس أنها أدت رسالتها في الحياة، وأنها ترحل بعد أداء هذه الرسالة بدون ندم، وأنها تفسح الطريق لمواليد جديدة من مواليد الطبيعة وأحس أن هذه الأوراق الصفراء المتساقطة قد تركت الجزء لتذوب في الكل، تركت أغصان الشجرة لتذوب في الحياة الكبيرة الواسعة.

العودة إلى الذات هي أصعب رحلة في حياة الكائنات الحية جميعا، وهي في نفس الوقت أجمل رحلة أيضا. إنها في العادة تكون مرحلة صادقة لا ادعاء فيها ولا أكاذيب. إن الكائن الحي عندما يعود إلى ذاته فإنه لا يخفي عليها سرا من الأسرار، ولا يتظاهر أمامها بما ليس فيه، إن الكائن مع ذاته هو القاضي والمتهم .. هو الجرح والسكين .. هو الوجه والمرآة في نفس الوقت .. والخريف هو التواضع والتسامح والبعد عن الزحام .. والبعد عن المظاهر .. والخريف هو الحقيقة الداخلية التي لا ترتدي ثيابا تخطف الأبصار. إنه الصمت المليء بالمعاني الكبيرة، والسكون الذي يضم بين جناحية معظم الحقائق الأساسية في هذا العالم. والخريف في بلادنا أجمل من كل فصول السنة وهو أكثر الفصول همسا وحلاوة وعذوبة.

أمنية

وجد نفسه فجأة يسير وسط الطريق وحيدا بأفكاره ومشاعره، معزولا عن كل ما حوله بما يدور في عالمه الداخلي من أحلام وهموم... وقفزت إلى ذهنه أمنية واحدة.. إنه يتمنى أن يجد فرصة ليعيش في عزلة. يستمع إلى صوت الحياة ولا يتكلم. ولا يقرأ ولا يكتب ويعيش بين الناس فلا يحس به أحد ولا يراه أحد. أفقده خيبة الأمل المتتالية حاسة الثقة بالناس. لذلك فهو يتمنى أن يحصل على عزله طويلة .. عزلة يتعلم فيها الصمت، ويتعلم فيها ضبط النفس، ويتعلم من جديد كيف يميز بالعين بين المرئيات، وبالأذن بين الأصوات، ويتعلم كيف يخطو بأقدامه وليس وراءه كرباج يلسعه ويطارده، وليس أمامه سراب من الأمل يجذبه ولا ينال منه قطرة ماء.

أكثر اليائسين هم أكثر الناس أحلاماً .. أما الذين بلا أمل ولا حلم فهم - في نفس الوقت - الذين لا يعرفون معنى اليأس ولا يعرفون معنى الهزيمة.

العيون

يمكن للعين أن تحمل المرارة في نظرة، وتحمل أسى الأيام في نظرة، ويمكن للعين أن تتكلم بدون ألفاظ ينطق بها اللسان، وأن تقول في لمحة واحدة ما يظل اللسان يرويهِ في ساعات أو في أيام.. إن الإنسان يتركز كله، ويمكن تلخيصه كله في العين .. ولذلك فأنا أحب العيون، وأخاف العيون.

العيون تعوم في بحر خفي من الدموع والأفراح، بحر قد نراه أحيانا وقد لا نراه، ولكنه قائم وراء العين. وأقوى العيون تأثيراً في عيون الأبرياء .. عيون الأطفال والمظلومين، فإنهم لا يستطيعون التعبير بلسانهم بقدر ما يستطيعون التعبير بعيونهم.



وجه

أحلى الوجوه وجهها ... قامتها كأنها غصن طويل رائع في شجرة صفاف ... عيونها ... عيونها ... لا تسلني عن شيء من هذا كله .. فلا جواب عنه إلا بالشعر، وأنا لست من الشعراء. . .
ولكن الذي يثير العجب في هذا الوجه الجميل أنه يخفي وراءه قلبا من الصخر، وقسوة لا حدود لها، وجفافا في كل معاني الإنسانية، فلا عاطفة حب في حياتها، ولا عاطفة صداقة، ولا عاطفة ولاء لأي شيء. . . كل شيء في حياتها ملفق وأنااني وبعيد عن الصدق. جمود، وفحم محترق، وحصى، ورمل. . . هذا هو قلبها ووجدانها وعالم نفسها المعتمدة! لذلك ... لو كنت رساما أو نحاتا لرسمت لوحة أ، أقمت تمثالا للجمال الرائع الذي يوحي بشيء واحد هو القبح!.

— انتهى —



في الختام

قد تكون وجدت ضالتك في هذا الكتاب، فكرةً كانت أو معلومةٍ قد سرقت لُبَّ قلبك، ورُبما اقتبست منه نوراً يشع بك، فهل تُشارك الآخرين هذا النور عبر حسابنا فنُضيء جميعاً؟

وديان سعد



نبذة عن الكتاب

هذه صور من الحياة ..عرفت بعضها عن طريق التجربة المباشرة وعرفت بعضها الاخر عن طريق قراءاتي , والمشكلة الرئيسية في هذه الصور كلها هي المشكلة التي شغلتنى سنوات طويلة , فانصرفت الى التفكير فيها بعقلي وقلبي معا. وهي نفسها المشكلة التي وجدت الكثيرين يفكرون فيها مثلي , وربما أكثر منى ويبحثون لها عن حل. وهي مشكلة لا يمكن تحديدها في كلمة واحدة. انها مشكلة الخصومة مع الحياة..هذه الخصومة التي لم يفلت منها انسان ابد. حتى الذين توافرت لهم اسباب السعادة الكاملة من مال والصحة والحب وراحة البال حتى هؤلاء قد تعرضوا لتجارب وقفوا امامها حائرين , وحاولوا التخلص منها بسلام.

فكيف يعيش الانسان في سلام مع نفسه , وفي سلام مع الناس؟

ماالعقبات التي تقف في الطريق ؟

كيف يتصرف المهزومون في معركة الحياة وكيف ينصرف المنتصرون؟

ما الأمل.. ما التفاؤل ..ما التشاؤم..ما الأسى..ما الفرح؟

كل هذه الاسئلة هي التي حاول هذا الكتاب بما فيه من صور نفسية أن يجيب عنها.

باركود موقع روافد المعرفة



 www.ienalwatan.com

 rawafed.communicate@gmail.com

 @rawafed-k  @rawafed_k  @rawafed_k

تصميم: نوران محمد حسين